ثانيا- البدائل النظرية في علم الاجتماع:

3) -المنظور الأثنوميثودولوجي (المحاضرة 09):

1- الجذور الفكرية للمنظور الأثنوميتودولوجي:

ترجع الجذور الفكرية للمنظور الأنثوميتودولوجي، لكل من التفاعلية الرمزية والظاهراتية، ولا سيما أن هذين الاتجاهين أو المنظورين قد أحدثا تطورا كثيرا في مجال النظرية السوسيولوجية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نظرا لحدوث كثير من التمرد العلمي على النظريات السوسيولوجية الكبرى، ولا سيما الوظيفية و المادية، حيث يرى هلموت فاجينز H.wagmer. بأن الأثنوميتودولوجية هي مدخل نظري ومنهجي جديد للفينومينولوجيا ضمن مقالته المميز عن علماء الاجتماع ذو التوجهات الفينومينولوجية Souologists of phenomvnological orientations ، بل وتعتبر أن الأنثوميتودولوجية ما هي إلا محاولة إعادة تجديد أو تحديث الأفكار والمسلمات العامة التي قامت عليها الفينومينولوجية عامة . كما يذهب والترولاس W.Wallace إلى أنه يمكن إعتبار المنظور الأثنوميتودولوجي، بمثابة أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية، كما يري آلفين جولدنر Gouldner . A. بأن المنظور الاثنوميتودولوجي يرتبط إرتباطا وثيقا بالإتجاهات النقدية، التي شهدها علم الاجتماع في الستينات من القرن العشرين، وقد ظهر المنظور الأثنوميتودولوجي كأحد المداخل النظرية، التي تتحدد موقفا نقديا من النظريات الاجتماعية التقليدية، وخاصة من الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع والرجوع إلى الفلسفة الظاهراتية .

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية و الفينومينولوجية والاتجاهات النقدية، صاغ عالم الاجتماع الأمريكي هاروند جار فينكل Harold Garfinkel المنظور الأثنومينولوجي، الذي أسسه في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، بفضل تطبيقه العلمي للمدخل الظاهراتي عند شوتر وتطويره، حيث كان تلميذا له في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك، وكانت الجذور الفكرية لجارفينكل مثيرة للاهتمام. فقد كان تلميذا لبارسونز في أواخر الأربعينيات، ودمج توجهه مع توجه شوتز الذي تأثر به بعد عدة سنوات قليلة. وبعد حصول جار فينكل على درجة الدكتوراه من جامعة هار فارد عام 1952، وصل عام 1954 إلى جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس وفي هذه الجامعة تطورت المنهجية الشعبية على يد جار فينكل وتلاميذه. وقد أصبح جار فينكل بؤرة إهتمام مجموعة من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في جامعة كاليفونيا في لوس أنجلس المهتمين للمداخلة، وعقدت سلسلة من حلقات النقاش في هذه الجامعة بدءا من أوائل الخمسينيات، وكان آرون سكوريل أحد الشخصيات البارزة في هذه الحلقات، وفي المنهجية الشعبية فيما بعد، وقد حصل سكوريل على درجة الماجستير من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، ثم التحق بجامعة كورنيل للحصول على درجة الدكتوراه، وبعدها عاد إلى كاليفورنيا كطالب في مرحلة ما بعد الدكتوراه، وبمرور السنين برع عدد من علماء المنهجية الشعبية البارزين في هذا الوسط.

وبدأت المنهجية الشعبية تحظى بجمهور عريض على المستوى القومي، مع نشر كتاب جار فينكل عام 1967 بعنوان دراسات في الأثنوميثودولوجيا Situaties in ethnome th dology ، وآثار هذا الكتاب اهتمام كثيرا على الرغم من كتبه بأسلوب صعب وغامض . ومنذ ذلك الوقت، فلقد تطورت هذه النظرية تطور كبيرة وأخذت أبعاد واتجاهات متعددة، فالبعض إهتم بها من الناحية النظرية والآخر من الناحية المنهجية، وهذا ما ظهر في تحليلات العديد من العلماء المعاصرين، الذين يرتبطون بالأثنوميتودلوجية عامة ، مثل سيكوريل أيرون A.cicourel ومنهجة الأنتوميثودولوجي، وساكس هار في H.Sacks وتحلية الأنتوميتودولوجي للمحادثة، وموهان Mohan ودراسته الواقع الاجتماعي، وديكلنز ودراسته لأثنوميثودولوجية الجريمة.

ولقد ساعد ظهور الأثنوميتودولوجية مجموعة من العوامل أهمها: إنهيار البناية الوظيفية، التي كانت مسيطرة على علم الاجتماع الأمريكي في حقبة الستينات، الى جانب التناقض الذي ظهر واضحا بين النظرية والواقع في المجتمع الأمريكي، و إدراك الأفراد لتلك التناقضات القائمة في المجتمع، والتي شمل بعضها في محاولة التأكيد على السلام وتحقيق العدالة من جانب السلطة الحاكمة، في الوقت الذي كان يسود فيه بعض ظواهر التميز بين البيض والسود ، منها التفرقة العنصرية بين جماعات السكان وإنتشار البطالة والفقر فيما بينهم، كذلك أيضا تلك الأزمات السياسية والأخلاقية، التي تعرض لها المجتمع الأمريكي، وأيضا ما تعرض له ذلك المجتمع من حروب ومشاكل اقتصادية وسياسية ودينية، وعجز تلك العلوم المهنية بدراسة الإنسان آنذاك، إلى ضرورة تقديم فهم عميق لتلك الظواهر الاجتماعية. إتفاق الفلسفات الفينومينولوجية والوجودية، وغيرها في محاولة فهم الإنسان و المجتمع، وما يتضمنه ذلك المجتمع من نظم ومؤسسات اجتماعية، الأمر الذي دفع بكثير من المفكري آنذاك إلى ضرورة تقيم تلك النظريات التي أعلنت انفصالها عن الواقع الاجتماعي في ذلك الوقت. الى جانب رفض المسلمات التي تقوم عليها النظريات الوضعية بأشكالها المختلفة، والتي تدور حول الإنسان والمجتمع، مع محاولة تقديم أطر تصورية ومنهجية بديلة لها، حين شكلت تلك العوامل المناخ المناسب لظهور المنظور الأثنوميتودولوجي .

2- التعريف بالأثنوميتودولوجيا:

تتكون كلمة الأثنوميتودولوجي من مقطعين: إثنو Ethno بمعنى جماعة أو سلالة (قومية أو لغوية أو عرقية)، وميتودولوجي ومعناه منهجا، ويكون المقطعات مصطلح Ethnomethodology ، الذي صاغه هارولد جار فينكل H.Garfinkel عام 1968. عندما إهتم بتحليل أشرطة مداولات هيئة المحلفين، التي أجرها في 1945، وذلك عندما كان يصوغ المواد ويضيف بالتفصيل لتلك المداولات، حيث حكم بالفكرة التي تمثل أساس مصطلح الأثنوميتودولوجي، إن جذب إنتباه جارفينكل حول البيانات، هو كيف عرف المحلفون أنهم كانوا يعلمون عند قيامهم بعمل المحلفين، بمعنى آخر، لقد كان مهتما بأشياء من قبيل إستخدام المحلفين، لنوع ما من المعرفة تدور حول الطريقة التي أديرت فيها الشؤون المنظمة للمجتمع، أي المعرفة التي إنجذبوا إليها بسهولة، أنهم يحتاجون إلى بعضهم البعض في ممارسة عمل المحلفين، هذا هو الإهتمام الذي يمثل أساس ممارسة الأثنوميتودولوجي.

لقد تمت صياغة المصطلح نفسه عندما عمل جارفينكل، مع مشروع أوراق بيل عبر إتفاقية Yale.Gross-cultural Files، حيث جاء جارفينكل إلى جزء عمل عنوان إثنوبوثاني E.Thnobotany، إثنومسيولوجي Ethnophysiology إثيوفيزكس Ethnophysics، وما حصل هو أنه في مشروع مداولة المحلفين، واجه محلفين كانوا يعملون على إقامة منهجية، وقرر أن اللقب الذي يبدوا كافيا للإتقاء الفكرة كان إثنوميثولوجيا لأن إثنو Ethno تشير إلى إتاحة وجود معرفة الحس العام لأعضاء المجتمع، بإعتبارها معرفة الحس العام لكل شيء، وفي حالة المحلفين لقد كان إستخدامهم لمعرفة الحس العام المتوفرة، كمعرفة تقابل المعرفة العلمية لما كان متوقعا من المحلفين، وهي النتيجة التي كانوا من خلالها فاخرين على أن يكونوا محلفين، وهو الأمر الذي إهتم به جارفينكل. إذ ترجمنا الجزء إثنو من المصطلح بإعتباره أعضاء (أعضاء الجماعة) أو الشعب Folk أو الناس People، فإن الاثنوميثودولوجي يمكن أن تعرف على أنها: طرق الأعضاء والناس في إدراك المواد من عالمهم الاجتماعي. إن إهتمام الأثنوميتودولوجي يشمل في كيف يدرك الناس المراد من النشاطات اليومية. بشكل واضح الكثير من النشاط اليومي يتم التقسيم به، بإعتباره معطي بشكل إعتيادي، ولذلك فإن التساؤل حول إدراك المراد منه لا تظهر لها، بالفعل، إذ أخذ الناس الواقع بإعتباره معطي، لماذا إذا يحاولون إدراك المراد منه؟، وبالمقابل فإن مدخل جارفنكل يعامل كل ما تم إعتباره معطي، وتم التسليم به على أنه إشكالي Problematic ، من أجل فهم الحسن العام للعالم اليومي. ولقد حاول جارفينكل أن يعرض للإجابة عن المقصود بالأثنوميتودولوجيا خلال تقديمه تعريفات أساسية هي:

- ففي التعريف الأول، يشير جارفينكل إلى أن دراسات الأثنوميتودولوجيا، تتضمن تحليل الأنشطة التي يقوم بها الأعضاء في الحياة اليومية، والطرق التي يسلكونها أيضا في مثل هذه الأنشطة الظاهرة، ومن ثم تتجه هذه الدراسة نحو التعرف على كيفية قيام الأعضاء بالأنشطة الفعلية والمألوفة، وكذا المعرفة الواضحة بالأبنية الاجتماعية، وإكتشاف الخصائص الشكلية للأفعال الملموسة والمألوفة من الداخل، ومن ثم يقوم هذا التعريف على الاقتناع، بأن معظم نشاطات التفاعل الاجتماعي المألوفة والتي تحدث في الحياة اليومية، إنها تتميز بخاصية التنظيم والتنسيق.

- أما التعرف الثاني له، نجده يحدد موضوع إهتمامه في معالجة الأنشطة والوقائع الملموسة، وكذلك الأوضاع السوسيولوجية، وذلك بإعتبارها موضوعات للدراسة الإمبريقية، ومن ثم فإنه كثيرا ما يهتم بالأنشطة المألوفة في الحياة اليومية، وعادة ما سجل أيضا الأحداث غير المألوفة، وذلك بهدف التعرف عليها كظاهرة، وإكتشاف بعض القواعد التي يحكمها، وبذلك نجده يركز في هذا التعريف على محاولة، رفض ما حدث في بعض التحليلات السوسيولوجية من تميز بين الأنشطة المرتبة والواضحة من ناحية، وبين تلك الأحداث الاجتماعية والأنشطة العادية في الحياة الاجتماعية من ناحية أخرى، وذلك لأن كل منها ذات أهمية متساوية بإعتبارها موضوعات للدراسة في هذا الاتجاه الأثنوميتودولوجي.

- وكذلك في التعريف الثالث، يحدد المقصود بذلك الاتجاه بالبحث في الخصائص المنطقية " للتفسيرات الدالة " Indexical، وغيرها من الفعال الملموسة في الحياة اليومية، ويعتمد هذا

التعريف على محاولة التميز بين نوعين من التفسيرات؛ ذات أهمية في التفاعل الاجتماعي، أحدهما هو التفسيرات الدالة التي تشير إلى وصف الموضوعات، في ضوء خصوصيتها والتي ترتبط بالسياق التي تستخدم فيه، والآخر هو التفسيرات الموضوعية والتي تسخر إلى وصف الخصائص العامة، لبعض الموضوعات مثال النمطي Typical . والنمط الواحد، ويلاحظ أنذلك التميز أنه يرتبط بما ذكره جارفينكل في التعريف الأول، من تمييز بين الأنشطة المألوفة وغير المألوفة. وأخيرا يحدد جارفينكل الاثنوميتودولوجي في أنه يشير إلى دراسة الأفعال الملموسة؛ وذلك طبقا لسياسات مثال تلك التي تتبع الظاهرة والنتائج والطرق التي تصاحب إستخدامها.

وثمة ملاحظة على تلك المحاولات، نجد أنها تتنوع فيما بينها في محاولة تحديد المقصودة بالأثنوميتودولوجي، و من ثم نجد أنه من الجدير بالملاحظة الإحتفاظ بكتابة ذلك المصطلح الأثنوميتودولوجي، كما هو الحال بالنسبة لبعض المصطلحات الأخرى في علم الاجتماع، وغيره مثال السوسيولوجي والسيكولوجي أو الأنثربولوجي . بالإضافة إلى تحديد مفهوم الأثنوميتودولوجي، نجد أن أصحاب هذا المنظور قد قاموا بتطوير بعض المفاهيم الإنسانية، مثل مفهوم الفعل المنعكس Refexive action الذي يشير إلى أن كثيرا من أنماط التفاعل التي تحدث بين أعضاء المجتمع، تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للموقفية الاجتماعية التي قاموا بتشكيلها في مواقف محددة، ونجد أن كثيرا من أنماط التفاعل بين أعضاء المجتمع تعتبر أفعالا منعكسة. فالكلمات والإرشادات والإيحاءات التي يستخدمها أثناء عملية التفاعل، تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية، وستخدم في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني للعالم الاجتماعي.

كما قام أصحاب هذا المنظور، بتطوير مفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى the indexicality of Meauning، الذي يشير إلى التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع، يتضمن معاني تدركها عقولهم مباشرة، وهي معاني تفوق دلالاتها ومغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث متبادل بينهم. ومن ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع، يكون لها معاني ترتبط بموقف معين أو شبكة أو ظروف معينة، ومن الصعب تفسير عملية الاتصال الرمزي بين الأعضاء المتفاعلين دون الحصول على بعض المعلومات عن هذا الموقف أو الشبكة أو الظروف، مثل التعرف على السير الذاتية بجماعات المتفاعلة، وأهدافها المعلنة، وخبراتها الماضية، وعندما تذهب إلى القول بأن تغييرا معينا يعد تغيرا موقفيا، فإن هذا يشير إلى أن معنى هذا التغيير يرتبط بموقف أو شبكة أو ظروف معينة. ومن خلال مفهوم الفعل المنعكس أو الشبكة المرتبطة بالمعنى، حاول أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجي، التعرف على كيفية قيام أعضاء المجتمع بإستخدام الإشارات والكلمات والعبارات في تشكيل العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ونجد أن ممثلي هذا المنظور يتركز إهتمامهم حول التعرف على حقيقة اجتماعية معينة أو على محتويات هذا العالم الاجتماعي، بل حول المناهج أو الطرق التي يستخدمها أعضاء المجتمع، لتشكيل رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية والمحافظة عليها، أو يعتبرها، ومن ثم يهتم المنظور الأثنوميتودولوجي، بالكشف عن الطرائق أو أساليب الناس أو

الشعب في التغيير عن أنشطتهم وتوصيلها للآخرين، والكشف عن الإجراءات التي يستخدمها أعضاء المجتمع في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني لعالمهم الاجتماعي .

3- موضوعات إهتمام الاثنوميتودولوجيا وقضاياها الأساسية :

يدعو هذا الإتجاه إلى الدراسة الوصفية البحتة، لوقائع الفكر والمعرفة على نحو ما نحياها ، وفي صميم وعينا، دون الأخذ بأنه نظرية وأفكار مبسطة، ويعتبر الواقع اليومي أو الحياة اليومية هو الأساس الذي يجب أن يرتكز عليه اتجاهنا ودراستنا، إستنادا إلى الإعتقاد بأن فهم هذه الحياة، يجب أن يكون أساس لكل البحوث والنظريات الاجتماعية، فهو يدرس الواقع متحررا من المسلمات والمزاعم المبسطة. حيث ذهب جارفينكل إلى أن مجال إهتمام الأثنوميتودولوجي، ينحصر في دراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية بطريقة اجتماعية، وكيف يستوعبها الأفراد، ويعرفونها، ويتعاملون معها كمجموعة متصلة من الأحداث الفعلية، والتي يفترض الشخص أن أعضاء الجماعة الآخرين مثلما سلم بها هو نفسه. فالحياة الاجتماعية، في نظر جارفينكل ما هو إلا مشروع عملي يشارك فيه كل فرد يعيش في الحياة، فالأنشطة التي يقوم بها الأفراد في حياتهم العادية تكون مركبا تنظيما عمليا Apractical organizationala ccomplishmenti ، فمن خلالها يخلق أعضاء الجماعة مواقف الحياة اليومية ويتحكمون فيها، وهي ترتبط بمحاولات هؤلاء الأعضاء حول هذه المواقف قابلة للتبرير A.ccointakle . وتظهر مواقف الحياة بصورة تلقائية، من خلال توقعات تنشأ كليا وجزئيا في لغة الحياة اليومية، التي يشترك فيها كل الأفراد بوصفهم أعضاء في نظام اجتماعي معين، ويعتقد أنصار منهجية الجماعة أنه طالما تم تعريف موقف معين، فإن هذا التعريف يستمر في الوجود مادام الأفراد على موضوع معين، سوف يستمر أيضا في مناسبات ومواقف مختلفة، وتتشابه المعاني والتعريفات من خلال الإشتراك في التعبيرات والرموز، وتظهر الإختلافات بين الأفراد من خلال إختلافاتهم في الخبرات وتواريخ الحياة، ويعني ذلك أن التفاعل في المجتمع قائم على مجموعة من القواعد والطقوس، التي يسلم بها الأفراد العاديون دون وعى تقريبا، وهم في تسليمهم بهذه القواعد والطقوس يكونون لأنفسهم - كجماعة- منهجا خاصا في الحياة لا يعون به، وعلى عالم الاجتماع أن يحترف مواقف التفاعل العادية من إكتشاف هذا المنهج، أو إكتشاف القواعد و الطقوس التي تحكم مواقف التفاعل في الحياة اليومية.

غير أن ذلك لا يعني أن مواقف الحياة اليومية، لا تكشف عن حرب من حروب العقلانية، أو أن الأفراد لا يستبقون لأنفسهم مناهج عقلية رشيدة توجه سلوكهم. والحقيقة أن فكرة الرشد أو العقلانية تعد فكرة أساسية في المنهج الأنثوميتودولوجي، فالأنشطة اليومية لها خصائص الشدة، فالأفراد يخلقون لأنفسهم أنماطا سلوكية الشدة أو عقلانية، ولقد حدد جار فينكل أربعة عشر مجالا تظهر هذه الأنماط الرشيدة من السلوك وهي: - عندما يصف الفرد الأشياء أو الناس أو يقارن بينها - عندما يزن الأمور أو يقدر خطأ محتملا - عندما يبحث عن الوسائل التي تحقق أهدافه - عندما مجد البدائل والنتائج المترتبة عليها - عندما تستخدم إستراتيجية معينة - عندما يقدر قيمة الوقت - عندما ينشأ بالأحداث - عندما يستعمل قواعد إجراء معين - عندما يقدم على الاختبار - أو يستعمل معايير مقررة للاختبار - عندما يطابق

بين الغابات والوسائل من خلال معايير مقررة أيضا- عندما يسعى إلى الوضوح والتميز بين الأشـــياء كي لا يقع في الخطأ - عندما يســـعى إلى الوضـــوح والتميز كهدف في حد ذاته - وعندما يحاول أن يوفق أو يطابق بين تحديده للموقف والمعرفة العلمية .

ويستدل على ما سبق أن المنظور الإثنوميتودولوجي، سلم بأن الإنسان يمكنه تغيير ذاته، كما أنه يســهم في تشــكيل العالم الخارجي أكثر مما يســهم في هذا العالم في تشــكيله، بالإضافة إلى أن الإنسان كائن عقلاني توجه سلوكه مناهج عقلية رشيدة ، ومن هنا يمكن القول أن هذا الاتجاه عبارة عن تطور هام في علم الاجتماع، لأنه يركز على مجموعة من القضــايا التي لم تعالج بجدية من طرف علم الاجتماع التقليدي، وتتمثل أهم هذه القضــايا فيما يلي:

- الدراسة السوسيولوجية الإمبريقية للمسلمات والفهم الشائع في المجتمع.

- الدراسة السوسيولوجية الإمبريقية لمسألة البحث العلمي ونشاط الباحث الاجتماعي.

- البحث الإمبريقي المنظم للخصـــائص العامة والثابتة في الأنشـــطة والظواهر الاجتماعية، دون التعميمات الإحصائية التقليدية.

- الدراسة السوسيولوجية الإمبريقية للغة الطبيعية أو لغة الحياة اليومية.

- التركيز على الجانب التأويلي والبشري بالنسبة للاستخدام القواعد الاجتماعية، ومن خلال هذا الاتجاه يمكن التوصل إلى فهم أعمق للمجتمع ودون أحكام مسبقة .

إن الأثنوميتودولوجيا تضع العالم اليومي المعطي على منصة مركزية، وتسأل كيف يقدم الناس للآخرين مشهدا اجتماعيا منظما ؟، وكيف يجعل الناس المشاهد أو المواقف قابلة للفهم أو معقولة ؟. لا يوافق جار فينكل على وجهة نظر دوركايم، حول أن الحقائق الاجتماعية التي تعتبر الموضـــوع الأســـاســـي لعلم الاجتماع بالنســـبة لدوركايم، لها واقعا موضـــوعيا، وموجودة خارجنا في مكان ما. وبدلا من ذلك يقول جار فينكل إن الأثنوميتودولوجيا ترى الواقع الموضـــوعي للحقائق الاجتماعية، بإعتباره إنجاز مســـتمر لنشـــاطات الحياة اليومية موضـــوع الاهتمام، ويعني بذلك أن الأفراد في المواقف اليومية يستحضـــرون أو يتعرفون على الحقائق الاجتماعية، من قبل المعايير والقيم المعطاة، والتي تفسر معنى الموقف بالنسبة لهم، عند ما يدركون المراد من الموقف عن طريق إستحضار أو التعرف على المعايير الاجتماعية الكامنة، فإن الأفراد يشكلون الواقع الاجتماعي بمعنى آخر، أنهم ينظمون خبراتهم لكن تكون في خطأ يعتبره الصـــورة إلى يكون عليها العالم الاجتماعي اليومي. يزعم جارفينكل بأن الدراســات " الاثنوميتودولوجية" تحلل النشــاطات اليومية، كما تجعلها طرق الأعضـــاء بشـــكل مرئي، وعقلانية ومعلنة لجمع الأغراض العملية، أي قابلة للتفسير والفهم كتنظيمات من النشاطات اليومية المعتادة والمألوفة.

ما يقول جار فينكل، بشكل أساسي، هو أن الاثنوميتودولوجي ينكر إفتراض الوظيفي، بأن الحقائق الاجتماعية لها واقعها الخاص الذي يخضع الأفراد له. وبالمقابل فإن الاثنوميتودولوجين لا يعاملون النظام بإعتباره موجودا خارجنا في مكان ما، وأنه يخلق بواسطة المجتمع وبشكل مستقل عن خبرة الأفراد وعيشهم فيه، ولم يقم الاثنوميتودولوجي بدراسة كيف يتم خلق توقعات الدور في عملية التفاعل، كما تفعل التفاعلية الرمزية وبدلا من ذلك، يدرس الاثنوميتودولوجي العملية التي يتحضر الناس بواسطتها قواعد معطاة حول السلوك، يفسرون من خلالها موقف التفاعل ويجعلونه ذا معنى، وفي الحقيقة تعد العملية التفسيرية ذاتها بالنسبة للاثنوميتودولوجي ظاهرة للبحث والاستقصاء. حيث يرى الاثنوميتودولوجين أن أقل المعايير والقيم لا يمثل إهتماما أوليا، وبدلا من ذلك فإن إهتمامهم ينصب على العملية إلى التفاعل البشر بواسطتها ويثبتون لبعضهم بأنهم يتبعون معايير وقيما. أما بالنسبة للوظيفيين فإن المعايير والقيم الكامنة (ضمنية)، وخارجنا هناك، وتخضع الأفراد، وبالنسبة للتفاعلية الرمزية، تنبثق المعايير والقيم عن عملية التفاعل. وبهذا يهدف جار فينكل إلى فهم الحس العام للمواقف اليومية. وتهدف الأثنوميتودولوجيا إلى الوصف، وموضوعاها الأساس طرق الناس، مهتمين بالتفسيرات التي يستخدمها الناس لإدراك المراد من الأوضاع .

4- المناهج المستخدمة في الدراسات الأثنوميتودولوجيا:

إن المعنى الذي يضيفه الفرد على مواقف الحياة اليومية، ذو أهمية بالغة بالنسبة للاثنوميتودولوجيين، لذلك نجد أن جارفينكل وزملاءه من الباحثين، قد قاموا بإجراء بعض الدراسات الامبريقية التي تكشف عن المناهج المختلفة، التي يمكن أن يستعين بها الباحث الأثنوميتودلوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية، ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث، وعلى الرغم من تعدد الدراسات الأثنوميتودولوجية، فإنه يمكن تصنيف هذه الدراسات في ثلاثة ملامح، يمثل النموذج الأول: في تلك الدراسات التي تهدف إلى إكتساب المعرفة الاجتماعية والثقافية. يبدوا النموذج الثاني: في الدراسات التي تحاول التعرف على القواعد العامة، التي يقوم الناس بصياغتها لهدف فهم أنماط السلوك، وتفسير كيفية نشأة النظام الاجتماعي العام ومظاهره. أما النموذج الثالث: من الدراسات الاثنوميتودولوجية، فتمثل في تلك الدراسات الهامة التي تحاول التعرف عن الطرق، التي يتبعها الناس للحكم على أنشطة أقرانهم بأنها مقبولة ومفهومة .

حيث تستخدم هذه الدراسات الأثنوميتودولوجيا مختلف المناهج، في جمع البيانات من أجل التحليل وفهم الأفراد من الداخل، من خلال تصورات هؤلاء الأفراد العقلانية التي يكونونها خلال علاقات التفاعل مع الآخرين، ومن خلال المعاني الذاتية التي يضفيها هؤلاء الأفراد على أفعالهم، فالأفراد لا يمثلون حقيقة واقعية تخضع للدراسة كظاهرة حسبما يقرر أنصار الاتجاه الوصفي. ولكنهم كائنات عقلانية لها أفكارها وتصوراتها الخاصة، التي تختلف بإختلاف الثقافة والإطار الاجتماعي السائد. وأي معرفة سوسيولوجية لا تكون لها أي حدود، إذا لم تبن على أساس تصورات الأفراد في حياتهم اليومية .

ومن أجل ذلك يلجأ الأنثوميتودلوجي إلى إستخدام المقابلات المفتوحة، و المعمقة والملاحظات بالمشاركة وتسجيل الفيديو، والمنهج الوثائقي documentary method الذي يستخدم لتفسير سلوك الأفراد وفهمه، إذ تقوم على مجموعة المشاهدات المتحصلة، يمكن أن يعتبر مؤشرات indicatore على نمط سلوكي معين.إذ يشتق النمط السلوكي من السياق الكلي للمشاهدات، ومن معرفة المعاني التي يلصقها الأفراد بأفعالهم، ويستخدم الباحث والفرد العادي أيضا – سواء اعتمد على التسجيل أو التحليل أو أي أداة أخرى، يستخدم هذا المنهج في تفسير استجابات الأفراد أو في تجمع معلومات منفصلة لتوصل إلى تفسير منسق للموقف. ومن خلال المنهج التوثيقي يستطيع الباحث أن ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية، لكن يكشف مناهج الجماعة في الحياة من حياتها اليومية، والباحث الذي يستخدم المنهج التوثيقي سجل البيانات أمام الناس وبالتفصيل وبطريقة صعبة وملحوظة، ومن ثم فإن الموقف الذي يسجل منه يعتبر موقفا تفاعليا، لا يتصنع فيه الباحث ولا المبحوث سلوكه **(أحمد زايد، 1981، 415 -416).**

إلى جانب هذا المنهج نجدهم يستخدمون المنهج شبه التجريبي، الذي يطلق عليه التجربة الاثنوميتودولوجية أو التجارب التصعيدية Breaching experinonts، أي التي تحدث صدى في المشاهد الاعتيادية المألوفة، وتثير الشكوك والتساؤلات حولها، ويمكن تطبيق المنهج شبة التجريبي على الجماعة التي يحاول الباحث دراستها. ويمكن للباحث تطبيق هذا المنهج أو التجربة بطريقة تختلف عن القواعد المتفق عليها، مع التسجيل رد فعل الجماعة تجاه الباحث، ومن ثم للباحث إكتشاف القواعد التي لا يعرفها الباحث، كما يعرفها الأعضاء المشاركين في عملية التفاعل، وعلى سبيل المثال، يحاول الباحث أن يعتمد التصرف كما لو كان غريبا عن أعضاء أسرته، مع تسجيل رد فعل أعضاء الأسرة تجاه سلوك الباحث، ولذلك يمكن الباحث من التعرف على القواعد السلوكية المتفق عليها داخل الأسرة، والتي تحكم سلوك وتصرفات أعضاء هذه الأسرة ، بالإضافة إلى أن هذا المنظور يختلف عن النظريات التقليدية في علم الاجتماع، من حيث إنه لا يهدف أساسا إلى تغيير السلوك البشري، والتعرف على حقيقة اجتماعية معينة، بل إنه يهتم أساسا بالكشف عن المنهج أو الطرق التي يستخدمها الناس في تشكيل الواقع الاجتماعي والمحافظة عليه، مما يشير إلى أن المنظور الاثنوميتودولوجي قد ساهم في تطور مناهج البحث، أكثر من ساهم في تطور نظرية علم الاجتماع المعاصر .

ومن الانتقادات التي تعرض لها المنظور الإثنوميتودولوجي نجد:

- تركزت الإثنوميتودولوجية على دراسة قضايا ومشكلات وظواهر صغيرة، واعتمادها على مستويات التحليل السوسيولوجي الصغرى Micro Sociological analysis، كما سعى بعض أنصار الاثنوميتودولوجية للإتجاه نحو التحليلات البنائية، ومحاولتهم لترسيخ هذه التحليلات وإستخدامها عند دراسة المشكلات الصغرى، على غرار إستخدامها أصحاب النظرية السوسيولوجية الكبرى، وهذا ما كشف عن الكثير من المشكلات المنهجية والنظرية والتطبيقية في نفس الوقت .

- جاءت أراء الاثنوميثودولوجية منفصلة بين تيارين أساسين، أولها ركز على دراسة المواقف Situtions بينما ركز الثاني على دراسة النواحي اللغوية Longuage، وهذا ما ظهر في تحليل المحادثات، وجعل الكثير من تحليلات هذه النظرية مرتبطة بعلم فلسفة اللغة، أكثر من إرتباطها بعلم الاجتماع بمعناه الشامل.

- تنتقد الإثنوميتودولوجية علم الاجتماع التقليدي بشدة، سواء على مستوى المفاهيم والإطار المرجعي التصوري، أو أساليب البحث وأدوات جمع البيانات، أو لاعتماده على البيانات أو المداخل الكمية فقط، ودون إستخدامه المنهج والمداخل الكيفية، وبالرغم من ذلك لم تستطع الأثنوميتودولوجية وضع مقاييس بحثية متطورة خاصة بها، وأن معظم التصورات والأساليب التحليلية غير واضحة وغير دقيقة، وهذا ما نتناوله جارفنكل عند طرحه لأفكار ومفاهيم مثل التوقعات الكامنة، وإستخدامه لأساليب الفهرسة أو خاصية الرؤى البشرية النفسية . رغم سعيها لخلق عالم اجتماع آخر بالنسبة لها يهم بدراسة النظام الاجتماعي الواقعي، ولهذا حيث تعتبر الاثنوميتودولوجية مجرد نظرية في مستوى أدنى، بسعيها فقط بتزويد الباحث ببعض الملاحظات التي تقوده إلى بحوث تطبيقية .